

# غادة السمان

السيادة في بحيرة

الشيطان

الشفار

لا تصلبوني من زعانفي

## لا تصلبوني من زعانفي ! ...

قلت للطبيب : بل الفصل إجراء العملية  
بعد تحديد بري كلياً . . .

قال بدهشة : تحديد بري من أجل عملية  
بسيطة تكاد لا تحتاج إلى منتج موجهي ؟  
تحديد بري من أجل اللانبي ؟ هذا أمر لم  
أسمع به قط . حياتي . . . هل نعلمين  
معنى المنتج السكلي ؟ أنه بحاجة إلى  
مستشفى ، وقاعة عمليات ، وطبيب خاص  
للتحديد ، ويعتبر من الممرضات ، وخمسة  
أخصائى الكلفة العادية ! . . . وستدخلين  
في تاريخ الطب كأول إنسان يحدد كلياً لأجل  
هذه العملية البسيطة ! ! . . .

قلت : إنني أصر على المنتج السكلي ،  
وسأدفع التكاليف .

قال : ولكنني أتعجل من إجراء عملية  
تأهية كهذه مع تحديد بري ؟ . . . إنك  
تخرجيني هنا .

قلت : اعرف انني كمن بساجر طائرة فانتم لنقل ارنب الى سيرك لكنني اصر . اصر متوسلة !! ( لم أجزؤ على القول بأنني أرغب في تجريب مشاعر الانسان في لحظات السقوط في الغيوبة ولحظة الخروج منها . . . الى أين نذهب أثناء الإغماء ؟ وماذا يحدث ( للروح ) عندئذ ؟ لم أجزؤ على قول ذلك كله . . ولا سواء عن فضولي نحو تجريب كل شيء ) .

... وقال لي الطبيب السعودي قبل تقديري بمدنني عن بلاده وجبالها الطبيعية وسهوبها وجبالها ووديانها : فكري بشيء جميل . . فكري بالانهار . . . بالجبال . . . بالبحار . . . بعالم غيبه . . .

ومع وخزة الابرّة بدأت تجربة جديدة مثيرة لم اتفق لها طعماً من قبل . . . انطلقت كل اعضاء غرفة العمليات ، وكل الوجوه التي كانت ملتفة حولي ورحلت الى حيث لا ادري ولا أحد يدري . . . كل منا أذكره هو حوس بالضيق لأن الكرة الارضية تدور ولأنني مقيدة إلى أحد جوانبها لسبب مجهول ، وخيل إلي أن ذلك سوف يدوم الى الابد ، ولم أكن أحس في تلك اللحظة بمأهني البشرية أو بأية مأهية ، وإنما غمرني شعور غامض بالضيق والرعب والسقوط في فغ من العذاب الرتيب الذي لا نجاة منه ، والدوار الذي هو أقرب الى السقوط المتوالي منه الى الدوار . . .

ثم بدأت أصي انني سمكة ، ولكنني مقيدة إلى الكرة الارضية وأريد أن انطلق منها وأن بفلك أسري لأعود الى البحر ، الى البحر اسبح في البحر الواسع الممتون ، ولم يكن البحر في خاطري زرفة أو امواجاً ، وإنما كان سائلا حنون الذنب شاسع الاتساع ، فيه وحده أجد الحرية التي قضيت عمري ابحث عنها . . . وللحظات شعرت انني سمكة وطليفة وحرّة واسبح باسترخاء مذهل المتعة ، ثم بدأت أميز أصوات العالم الخارجي وبدأ معه عذاب الوعي فقد سمعت المرحضة تقول أنه يجب منعي عن تحريك يدي كي لا انزع منها ابرة السبروم ( علمت فيها بعد أن ضغطني هبط قليلا ، فاضطروا لتفذيبي عبر إبرة تثبت في الوريد وكل هذا من اجل عملية صغيرة نافذة كانت نكتة المستشفى بومثذ )<sup>\*</sup> سمعتها بالضبط تقول اسكوا يدها . وصرخت بأن لا بد لي وإنما زعائف فأنا سمكة .

<sup>\*</sup> عملية لإزالة سمّة صغيرة في البطن ( شحان ) - ( جعل باللهجة الشامية ) . . .

وصرح بطلب منهم أن يرحلوا في أسبوع سلام ، ولا يسلحوا من علامسي وزعافني ثم سمعت صوت رجل أحمر وأحمر سمكة مثل . وطلبت منهم أن يتركوني أسبوع ولقاء بحرية . ثم بدأت أزداد وعياً بأصوات الذين يتحدثون حولي ، ويجلسني وبما هي البشرية . وادركت مرة واحدة من أنا وما أنا بتذكرت لم أنا هنا وانتهى الحلم المدهش ، والتجربة الجديدة المثيرة .

وهنا لا بد لي من شكر صديقي التي كنت قد رجوتها حل مجل صقير ، سجلت فيه ( نصر بجاني الثانية ) أثناء صعودي التدرجي من البنج . . . لقد سمعت الشرط وتذكرت بقي المطلق لحظتها بأنني سمكة . وتذكرت أيضاً بحزن حادثة جرت في لندن أيام دراسي وكنت في السابق أضحك منها . . .

كنت وأخي وجموعة كبيرة من رفاقنا بجامعة نهر ونحفل بعيد رأس السنة ، حين جاء أحد الرفاق بمكعب صغير من السكر . وقال إنه استطاع أن يصنع خلية في المختبر الجامعي فلباً من الـ ( ال . اس . دي ) فخلو للشهور ، وأنه عرضه لمن يريد أن يجره . . . ولما رفضنا جميعاً ( نعمة ) عرضه ، ابتلعه مفتافاً وبدأ يعب الحمرة ثم صار يقول إنه طير ، وهجم إلى النافذة ليذف نفسه منها كي يطير ، وهجمنا لمكة فلزدد شراسة ، ونخلص منا بقوة عجيبة ، وركض إلى سطح البيت وكنا نركض خلفه ، ثم رمى نفسه إلى الهواء يريد أن يطير وكان صوته متعاً ( كصوني في التسجيل وأنا مفتحة بأنني سمكة ) ولكنه سقط على الأرض ونحطم أمام عيوننا جميعاً ومن يومها وأنا اسميه عباس بن فرناس الانكليزي ، واتذكره وأخي على سبيل التندر . . مع قصة من الحزن والأسف . اليوم ، وقد جربت بعضاً من طعام التخدير ، أحزن عليه بصدق بعد سنوات من مصرعه . واعتقد أن عالم التخدير وضحاياه بحاجة إلى رؤية جديدة ملؤها التفهم والحنان . . . ولكن كيف ؟ .

يلزم الفضاة على تجربة ( تخديرية ) واحدة ، تكون بعضاً من قسمهم لتأدية واجبهم ؟ . . .

يسوف الجميع إلى تجربة ( تخدير إيجابية ) ، لنكون أكثر فدية حل فهم أولئك المعلمين بيتنا ، الذين يتكاثرون يوماً بعد يوم ويضعفون ؟ . . . ويترقبون في عوالم المخدر بكافة أنواعه ؟

أم بالكف . على الأقل . عن طرح دسهم للتفككة أو للإشارة أو للتشهير ؟ . . . ودراسها بحثان ، علمياً ومن الداخل ؟ . . .

غادة السمان

السبابة في بعيرة الشيطان

النهاية

جمع ولتقديم

أحمد عامر